الإتجاه الموضوعي
في التفسير عند المعاصرين

أ. م. د. هندي عبيد مخلف
الجامعة العراقية

الملخص

التفسير الموضوعي هو تفسير العصر والمستقبل، حيث يعالج ما يجدُّ في حياة الناس من قضايا وأحداث لم تكن في الأزمان السابقة، ولم يكن حكم الشرع فيها واضحاً، فيقوم المفسر من خلال هذا اللون من التفسير باستخراج الحلول القرآنية لهذه الأمور المستجدة .

واستمرت جهود العلماء جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر حتى برز هذا اللون من التفسير – التفسير الموضوعي – وقد كثرت البحوث والدراسات القرآنية حول قضايا معاصرة، وها هنا كان اختياري لموضوع (الاتجاه الموضوعي في التفسير عند المعاصرين).

ويرمي هذا البحث إلى رصد جهد نخبة من العلماء المعاصرين في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وبيان أهميته ودواعي ظهوره وألوانه وأهدافه باعتباره يعالج ما جد وما يجد من قضايا وأحداث تعرض للناس ولم تكن موجودة من قبل، مع كونه يمثل خط الدفاع الأول للشبهات والطعونات التي يثيرها أعداء الإسلام مع بروز ألوان من الإعجاز القرآني من خلال وحدة الموضوع وتكامله، ووحدة السورة وترابطها، إلى غيرها من الأهداف.

- **مفتاح البحث: الاتجاه الموضوعي عند أهل التفسير في العصر الحديث.**

Conclusion:

The objective interpretation is the interpretation of the age and the future, as it deals with what is found in people's lives of issues and events that were not in previous times, and the rule of Sharia was not clear in them, so the interpreter, through this color of interpretation, extracts Qur'an solutions for these new matters .The efforts of scholars continued, generation after generation and era after era, until this color of interpretation - objective interpretation - emerged from the Qur'anic research and studies on contemporary issues, and here was my choice of the topic (the objective direction of interpretation among the contemporaries).. This research aims to monitor the effort of a group of contemporary scholars in the objective interpretation of the Holy Qur'an, and to explain its importance, reasons for its appearance,

colors and objectives, as it addresses what was found and what he finds in terms of issues and events that expose people to people that did not exist before, despite being the first line of defense for the suspicions and appeals raised by enemies. Islam with the emergence of colors from the Qur'anic miracles through the unity of the topic and its complementarity, and the unity and interconnection of the Surah, among other goals

Search key: The objective trend of the people of interpretation in the modern era

المقدمة

الحمد لله جعل كتابه نبعا فياضا بخيره، كريما بعطائه، لا يخلق على كثرة الردِّ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ ولئن كان القرآن الكريم بهذه المكانة العالية، فإنَّ فهم معانيه وإدراك دلالاته لهو أيضاً من الأهمية بمكان، ولهذا كان أول من عمل على تفسير القرآن للناس هو النبي ﷺ الذي كلفه الله تعالى بذلك، فقال عزوجل ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّحل الآية ٤٤] ، ثم كلف الله تعالى بذلك العلماء؛ فقال جل جلاله ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التَّوْبَة الآية ١٢٢] .

ومما تركه النبي ﷺ في تفسير القرآن، ومما أُثر عن الصحابة رضوان الله عليهم، ثم من جهود العلماء بعدهم تحصل لنا إرث تفسيري ضخم للقرآن الكريم، تنوعت فيه مناهج المفسرين واتجاهاتهم، واستفاد اللاحق منهم في ذلك بالسابق.

ومن المناهج والاتجاهات الجديدة التي ظهرت في تفسير القرآن الكريم هو: **(الاتجاه الموضوعي في التفسير)**، وهو تفسير العصر والمستقبل، وهو حديث النشأة اذا قيس بغيره من مناهج التفسير الأخرى كالتحليلي والإجمالي والمقارن وغيرها، ولئن كان القرآن الكريم بهذه المكانة العالية؛ فإنَّ فهم معانيه، وإدراك دلالاته له أيضا من الأهمية بمكان، ولهذا كان أول من عمل على تفسير القران للناس النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كلّفه الله تعالى بذلك، قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النَّحل الآية ٤٤] .

وسأتحدث عنه من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف التفسير الموضوعي ونشأته وتدرجه.

المبحث الثاني: العمر الزمني ودواعي ظهور مصطلح التفسير الموضوعي المعاصر.

المبحث الثالث: ألوان التفسير الموضوعي تطورها ومناهج بحثها.

ثم اذكر خاتمة أبين فيها خلاصة البحث وما توصلت اليه من نتائج.

المبحث الأول

تعريف التفسير الموضوعي ونشأته وتدرجه

- **ويشتمل على ثلاثة مطالب:**

والتفسير الموضوعي مصطلح مركب تركيباً وصفياً وللوقوف على تعريف هذا المصطلح المركب لابد من تعريف جزئيه، كلٌ على حدة لغة واصطلاحا، ثم يجمع بينهما ليعطي تعريفاً أقرب ما يكون لهذا المصطلح المعاصر.

- **المطلب الأول: التعريف بالمصطلحات:**

أولاً: تعريف التفسير:

أ. التفسير لغة: قال ابن فارس : (فسر الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه)[١] هو مصدر فسّر بتشديد السين، الذي هو مضعّف فَسَرَ بالتخفيف الذي مصدره الفَسْر، وكلاهما فعل متعدٍ، وهما بمعنى الاستبانة والكشف[٢] .

قال ابن منظور: (فَسَرَ الشيء يَفْسِرُهُ بالكسر ويَفْسُرُهُ بالضم فَسْراً، وفَسَّرَه: أبانه، والفَسْرُ: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، واسْتَفسَرتُه كذا أي سألته أنْ يُفَسرَهُ لي ..)[٣] .

ويوضح أبو البقاء المعنى اللغوي بما يقربه من معناه الإصطلاحي وذلك حيث يقول: (التفسيرُ هو الإستبانةُ والكشف والعبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل، وقال أهل البيان: التفسير هو أنْ يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره) [٤] .

وبهذه النبذة للمعنى اللغوي للتفسير واشتقاقاتها يتضح المراد بمدلول هذه اللفظة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين احمد بن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م: ٥٠٤/٤ .

(٢) ينظر: البحر المحيط -لأبي حيان التونسي- دراسة وتحقيق مجموعة من العلماء، منشورات دار الكتاب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م :٩/١، ١٢١ .

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي (ت ٧١١ هـ)،، مادة (فسر)، دار المعارف، القاهرة، تح: نخبة من العلماء العاملين بدار المعارف،:٣٤١٢/٤ .

(٤) الكليات «معجم في المصطلحات والفروق اللغوية» لأبي البقاء الكفوي، تح: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م : ٢٦٠ .

ب. التفسير اصطلاحاً:

ذكر العلماء عدة تعريفات للتفسير سأذكر بعضها:

فقد عرّفه أبو حيان بقوله: (هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، و تتمات لذلك) [١] .

وعرفه الزركشي بقوله:(هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه)[٢] .

وعرّفه الدكتور مصطفى مسلم: (علم يكشف به عن معاني آيات القرآن وبيان مراد الله تعالى منها حسب الطاقة البشرية) [٣] .

ثانياً: تعريف الموضوعي:

أ. الموضوعي لغةً:

قال ابن فارس: (وضع الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطه، يقال: وَضَعْتُهُ بالأرض وضعا، ووضعتِ المرأة ولدها، والوضائع: قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها، والوضيع: الرجل الدنيّ)[٤] .

وقد أشار ابن منظور إلى ذلك بقوله: الوضع ضد الرَّفعُ، وَضَعَهُ يَضَعَهُ وَضْعاً ومَوْضوعاً، والمواضع: معروفة، واحدها مَوضِعٌ[٥] .

وأمّا السمين الحلبي فقد تحدث في معجمه عن (وَضَعَ) بعدة معاني منها: (أحططنا وأسقطنا، قال تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ [الشَّرح الآية ٢]، قال بعضهم: والوضع أعم من الحطِّ، ومنها الموضع، ومنها الايجاد، ومنها البناء، والاتخاذ قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمْرَان الآية ٩٦] أي: بنيه واتخذه، ومنها إبراز أعمال الخلائق، قال تعالى ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الكَهْف الآية ٤٩] ومنها الحطُ، قال تعالى ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأَعْرَاف الآية ١٥٧] ، أي يحطُّ عنهم أثقال التكليف)[٦] .

---

(١) البحر المحيط:١٢١/١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م : ١٣/١ .

(٣) مباحث في التفسير الموضوعي، الدكتور مصطفى مسلم، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ -١٩٨٩م : ١٥ .

(٤) معجم مقاييس اللغة: ١١٧/٦ .

(٥) لسان العرب: ٤٨٥٧/٥ .

(٦) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ «معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم»، للشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تح: د. محمد التونجي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م : ٣٦٧/٤ .

وبالنظر في التعاريف السابقة ندرك أنَّ مادة (وضع) استعملت بعدة معانٍ منها القريب ومنها البعيد.

وأمّا عن علاقة (الموضوعي) بالتفسير فقد تحدث عن ذلك الدكتور عبد الستار سعيد حيث يقول: (وقد رجعت إلى القرآن الكريم فوجدت من معانيها إيجاب الشيء واثباته في المكان، مثل ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾ [الأنبياء الآية ٤٧] فيكون وصف التفسير (بالموضوعي) ملحوظا فيه هذا المعنى، لأن المفسر يثبت كل آية في موضعها من المعنى الكلي للقضية التي يبحثها .

وهذا المعنى ملحوظ تماماً في تقييد التفسير (بالموضوعي) ؛ لأنَّه يُلزِمُ المفسر الإرتباط بمعنى معين و صفة معينة، لا يتعداها إلى غيرها حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به) [١] .

ب. الموضوعي اصطلاحاً:

- قال أبو البقاء: (الموضوع هو عبارة عن المبحوث بالعلم عن أغراضه الذاتية) [٢] .

- وقال الدكتور عبد الستار سعيد: (الموضوع عند علماء التفسير: القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن ولها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد أو الغاية الواحدة) [٣] .

- وقال الدكتور مصطفى مسلم: (هو قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم)[٤] .

ثالثاً: تعريف التفسير الموضوعي:

بناء على تعريفي (التفسير) من جهة (والموضوعي) من جهة أخرى لغة واصطلاحا لكل منهما، عرّف العلماء هذا المصطلح المركب (التفسير الموضوعي) .

فعرّفه الدكتور عبد الحي الفرماوي: بأنَّه (اصطلاح مستحدث، أطلقه العلماء المعاصرون على جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد، التي اشتركت في موضوع ما، وترتيبها حسب النزول -ما أمكن ذلك- مع الوقوف على أسباب نزولها، ثم تناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط، وإفرادها بالدرس المنهج الموضوعي، الذي يجليها من جميع نواحيها وجهاتها، ووزنها بميزان العلم الصحيح، الذي يبين الباحث معه الموضوع على حقيقته، ويجعله يدرك هدفه بسهولة ويسر، ويحيط به احاطة تامة، تمكنه من فهم ابعاده، والذود عن حياضه) [٥] .

---

(١) المدخل الى التفسير الموضوعي، الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، ط٢، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩١م: ص٢٢ – ٢٣ .

(٢) الكليات «معجم في المصطلحات والفروق اللغوية»: ٨٦٨ .

(٣) المدخل الى التفسير الموضوعي: ٢٠ .

(٤) مباحث في التفسير الموضوعي: ١٦ .

(٥) البداية في التفسير الموضوعي «دراسة منهجية موضوعية»، الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط٢، مطبعة الحضارة العربية،

وعرفه الدكتور عبد الستار سعيد: بأنَّه (علم يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنىً أو غايةً، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، وبشروط مخصوصة، لبيان معناها واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع) [١] .

وقد ذكر الدكتور مصطفى مسلم خمسة تعاريف، كان من ضمنها تعريف الدكتور سعيد السابق، وقد رجّح واحدا منها معلّلاً هذا الترجيح بخلوّه من التكرار ولإشارته إلى نوعيه الرئيسيين، وهذا التعريف هو: (علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر) [٢] .

- **المطلب الثاني: نشأة التفسير الموضوعي وتدرجه**

مرّ التفسير الموضوعي بمراحل متعددة وكان يأخذ أنماطاً وأحوالاً متباينة حسب المراحل التي تدرج فيها، وكانت أحوال المسلمين عبر هذه المراحل، ومدى حاجتهم إلى هذا اللون من التفسير تلعب دوراً في بروز هذا التفسير بحيث انتهى في آخر مراحله علماً له أصوله وقواعده ونظريته التي ينطلق منها ويعتمد عليها.

فأول مراحل هذا اللون من التفسير بدأت منذ عهد النبوة حيث كان النبي ﷺ يفسر بعض الآيات فيما يتعلق بالموضوع الواحد، مما يؤكد ذلك ما رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: {لما نزلت هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام الآية ٨٢] شقق ذلك على أصحاب رسول الله فقالوا: يا رسول الله وأيّنا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لُقمَان الآية ١٣] إنّما هو الشرك}[٣] إذن المراد بالظلم في آية سورة الأنعام هو الشرك كما وضّحت ذلك آية سوره لقمان.

بهذا ندرك أنَّ النبي ﷺ قد جمع بين آيتين في موضوع واحد، وغير ذلك كثير كان يعمد إليه النبي ﷺ كان يفسر آية فيها إبهامٌ وإجمال بآية أخرى فيها بيان وتفصيل، دليل ذلك ما رواه البخاري[٤] بأنَّ رسول الله ﷺ فسَّر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ﴿* وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام الآية ٥٩] [٥] فقال:

١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م: ص٥٢ .

(١) المدخل الى التفسير الموضوعي: ٢٠ .

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي: ١٦ .

(٣) صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري- منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، كتاب التفسير، تفسير سورة لقمان، باب .....، رقم الحديث ..... : ٢٠/٦، وينظر: صحيح مسلم -للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، رقم الحديث (١٩٧):١١٤/١ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب .....، رقم الحديث .....، تفسير سورة الانعمام:١٩٣/٥ .

(٥) سورة الانعام، من الآية: ٥٩ .

مفاتيح الغيب خمسٌ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤﴾ [لُقْمَان الآية ٣٤] ، وهذا المنهج النبوي يمثل اللبنات التمهيدية الأولى للتفسير الموضوعي.

ثم أخذ الصحابة رضوان الله عليهم هذا المنهج عن رسول الله ﷺ فجمعوا بين آيات يربطها رابط، كأن يكون ظاهرها التناقض فيجمعون بينها بما يجعلها مؤتلفة غير مختلفة، متناسقة غير متناقضة، مثالُ ذلك ما روي عن سعيد بن جبير قال: {قال رجلٌ لابن عباسٍ: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ فقد قال الله: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المُؤْمِنُون الآية ١٠١]، وقال الله: ﴿ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠﴾ [الصَّافَّات الآية ٥٠]، وقال الله: ﴿وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢﴾ [النِّسَاء الآية ٤٢]، وقال الله: ﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾ [الأَنْعَام الآية ٢٣]، فقد كتموا في هذه الآية... فأجابه ابن عباس بقوله: قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المُؤْمِنُون الآية ١٠١]، في النفخة الأولى، وقوله: ﴿ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠﴾ [الصَّافَّات الآية ٥٠] في النفخة الثانية.

وإنَّ الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، عند ذلك يقول المشركون: تعالوا نقول: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾ [الأَنْعَام الآية ٢٣]، فيختم الله على أفواههم وتنطق أيديهم، عند ذلك يعرفون أنَّ الله لا يكتبون حديثا }[1] .

وهذه لبنات أخرى يقتضيها واقع الصحابة وهي مرحلة ثانية بعد عهد النبوة وقد سارت على هدي النبوة إلّا أنَّ الحاجة إليها ازدادت عمَّا كانت عليه زمن نزول القرآن على قلب رسول الله ﷺ ومع ذلك لم تكن هذه البدايات تأخذ صورة التفسير الموضوعي من حيث التقعيد والتأصيل كما هو عليه الآن .

ثم بدأ علماء التفسير بخطوةٍ أكثر تقدماً إلى مفهوم هذا اللون من التفسير، حيث قام بجمع الآيات القرآنية التي تتدرج تحت مبحث من مباحث علوم القرآن، وصنفوا فيها كتباً مستقلة بهذه المباحث القرآنية، مثال ذلك ما فعله القاسم بن سلاّم -ابو عبيد- حيث ألَّف كتاباً في (الناسخ والمنسوخ)، وألَّفَ يحيى بن سلام البصري كتاب في (الأشباه والنظائر) وكان ذلك في بداية القرن الثالث الهجري، وفي القرن الخامس ألَّف الماوردي كتاباً في (امثال القرآن)، وفي القرن السابع ألّف العزُ بن عبد السلام كتاباً في (مجاز القرآن)، وفي القرن الثامن ألّف إبن القيِّم كتابا في (أقسام القرآن) .

وهكذا تتابع التأليف والجمع للآيات المرتبطة برباط واحد وتخدم قضايا وموضوعات متعلقة بالقرآن الكريم مما يمثّل مرحلة أكثر تقدما تجاه التفسير الموضوعي وإن لم تكن قد بلغت غايتها، ولم تكن قد استوت على سوقها في تمثيل نظرية التفسير الموضوعي .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، حم السجدة، باب .....، رقم الحديث ..... : ٣٥/٦ .

يضاف إلى ذلك ما جمعه الفقهاء من الآيات ذات الموضوع الواحد فيما يتعلق بأحكام القرآن، فجمعوا في كتبهم ما يتعلق بالوضوء والتيمم تحت كتاب الطهارة، واستنبطوا منها الأحكام الخاصة بها، كما جمعوا ما ورد في الصلاة وقيامها وركوعها والقراءة فيها تحت كتاب الصلاة، وما يتعلق بالصدقات والأموال ومصارفها تحت كتاب الزكاة... وهكذا في سائر أبواب الفقه من العبادات والمعاملات والفرائض وغيرها... مثال ذلك كتاب (احكام القرآن) الذي ألّفه ابو بكر الجصاص، وكتاب (أحكام القرآن) الذي ألّفه ابن العربي المالكي، وكتاب (احكام القرآن) الذي ألّفه إلكيا الهراسي الشافعي وغيرها... وكل ذلك هو لونٌ من الوان التفسير الموضوعي في مراحله الأولى .

وهكذا بدأ التفسير يشق طريقه في الحياة العامة والخاصة، فبدأ يعرف ما يسمى بـ(الوحدة الموضوعية للآيات القرآنية) بشكل أكثر وضوحًا، كما كان الحال في عهد المعتزلة، كما كان الحال يروى عن الجاحظ وغيره.

واستمر الحال في التطور حتى جاء العصر الحديث، أي القرن الرابع الهجري؛ فبدأ أساتذة التفسير وعلماء يشقون طريقًا أكثر تخصصا ودقة في هذا الميدان، حتى إنَّهم اشتغلوا بالكلمة الواحدة، والآية الواحدة، والسورة الواحدة، فظهرت دراسات كثيرة في التفسير الموضوعي، وسأذكرها في المطلب الأول من المبحث الثاني.

واستمرت هذه الجهود جيلا بعد جيل، وعصرا بعد عصر، وكلما توالت العصور كلما كانت الحاجة إلى بروز هذا اللون من التفسير أكثر، حتى جاء العصر الحاضر .

يقول الدكتور صلاح الخالدي: (وعندما نتكلم عن الدراسات القرآنية المعاصرة القريبة من التفسير الموضوعي الذي نتكلم عنه، فإنَّنا نعني تلك الكتب والدراسات الخاصة بموضوعات وأفكار وحقائق وتوجيهات القرآن والتي تدور حول القرآن ولا تخرج عنه إلى باقي مصادر الإسلام الأخرى كالحديث والفقه والعقيدة والتاريخ واللغة وغير ذلك) [1] .

وقد كثرت البحوث والدراسات القرآنية حول قضايا معاصرة فرضتها حاجة الناس في هذا العصر من أمثلة ذلك (اليهود في القرآن) لمحمد عزه دروزة، ومنها (المرأة في القرآن) لعباس محمود العقاد، ومنها (ظاهره النفاق في القرآن) لعبد الرحمن حبنكة الميداني، وغيرها (كالصبر في القرآن)، و(الرحمة في القرآن) و(الأخلاق في القرآن)... ومع ذلك نجد الدكتور صلاح الخالدي لا يعتبر مثل هذه الدراسات نماذج تمثل التفسير الموضوعي؛ لأنها لا تسير على الخطة النموذجية للتفسير الموضوعي، ولا تلتزم بالمنهج الموضوعي

(١) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط١، دار النفائس للنشر والتوزيع، الاردن، ١٤١٨هـ - ١٩٧٧م: ٣٧ .

للتفسير، ولهذا يعتبرها دراسات قرآنية نافعة تبحث في بعض موضوعات القرآن [١]، ونجد الدكتور الخالدي يضع خلاصةً يحكم من خلالها على الجهود السابقة فيقول: (وخلاصة هذا المبحث أن التفسير الموضوعي مصطلح معاصر، وأنَّ البحث والكتابة فيه من باب تلبية حاجات مسلمي هذا العصر، وأنَّ السابقين لم يعرفوه بالصورة التي نعرفها نحن الآن وأنهم كانوا مشغولين بالتفسير التحليلي وفق ترتيب الآيات والسور في المصحف، وهذا لا يعيبهم ولا ينقص من قدرهم؛ لأنَّهم حققوا حاجات مسلمي عصرهم، ولا نطالبهم أنْ يرتقوا بمستوى حاجاتنا المتجددة) [٢] .

بل إنَّ سيرهم وجهدهم العملي التطبيقي هو الذي سارع في إنضاج هذا العلم وفي إعلان ميلاده المتمثل في وضع ضوابط وقواعد وأسس تمثل نظرية هذا اللون من التفسير، فمن حيث التطبيق فالسابقون هم السابقون، ومن حيث المصطلح والتأصيل المعاصرون هم المؤصلون .

(١) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: ٣٧ .
(٢) المصدر نفسه: ٣٩ .

المبحث الثاني

العمر الزمني ودواعي ظهور مصطلح التفسير الموضوعي المعاصر وأهدافه

ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول: العمر الزمني والدراسات السابقة في التفسير الموضوعي**

ذكر بعض الباحثين في هذا المجال أنَّ ميلاد التفسير الموضوعي وبدايته كانت عام ١٩٧٧م الموافق ١٣٩٨هـ تقريباً [١] .

وأمّا قبل ذلك في الكتابة في نظرية هذا النوع من التفسير تأصيلاً وتقعيدا كانت تمر بمرحلة التفكير والتحري والتنقيب، فهي تمثل فترة حمل الجنين تهيئةً للمخاض والميلاد، يقول الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد في مقدمة كتابه: (ثم شاء الله تعالى أنْ تتجدد قصتي مع التفسير الموضوعي مرة أخرى حين أُسند إليّ تدريس عدَّة موضوعات منه، فطفقت أبحث عن كتاب يكون كالمقدمة أو المدخل لهذا اللون لأجعله تأسيساً أو تمهيدا بين يدي دراسة الموضوعات فلم أظفر يومئذ بشيء وسألت الأستاذ الذي كان يدرس المادة قبلي ففاجأني بلا مقدمات، وعجيب من هذا المسلك، إذ كيف يفهم العلم على هذا النمط بلا حدود ولا معالم؟ وهل خلت المكتبة الإسلامية الزاخرة من هذه الدراسة الضرورية... واستعنت الله تعالى فكتبت يومئذ مقدمة يسيرة في بيان هذا اللون من التفسير أمليتها على الطلاب، ثم استفدت فوائد جمةً كنت أقيدها في أوراق متناثرة حين زاولت تدريس الموضوعات)[٢] .

ولمّا عاد إلى مصر ليدرس هذه المادة في كليه أصول الدين بالقاهرة قال: (فرجعت إلى أوراقي المتناثرة تحثني رغبتي القديمة، وشرعت في البحث والتنقيب، وتطلبت ما يكون قد جدّ من كتب في هذا الشأن، وقد تفضّل أستاذنا وشيخنا العلامة **الدكتور أحمد الكومي فأهداني بحثاً له بعنوان: (التفسير الموضوعي في القرآن الكريم)** صدَّره بمقدمة أفاد فيها وأجاد، وحدّد بها المعالم الأولى لهذا الفن، وأبرز طريقته، وهو بحث لم يسبق اليه -فيما أعلم- بل أظنه الخطوة العلمية الأولى في هذا الباب، ثم أهداني الصديق الدكتور عبد الحي

(١) ينظر: وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، الدكتور عبد السلام حمدان اللوح، مجلة الجامعة الإسلامية، الدراسات الإنسانية، غزة، الجزء الأول، ٢٠٠٤ م : ص ١٨ .
(٢) المدخل الى التفسير الموضوعي: ٦-٧ .

الفرماوي كتابه (البداية في التفسير الموضوع) الذي تابع فيه طريقه شيخنا الكومي وأضاف به العديد من الحقائق العلمية، ونبه إلى كثير من المراجع المفيدة[١] .

وسأذكر الكتب التي ألفت في التفسير الموضوعي، وذلك حسب علمي وما اطلعت عليه، وهي كما يأتي:

١- آفاق التفسير الموضوعي في القرن الهجري الأخير: إبراهيم سجادي، ١٩٩١م.

٢- أهداف كل سورة ومقاصدها: عبدالله شحاته، ١٩٨٦م.

٣- البداية في التفسير الموضوعي (دراسة منهجية موضوعية)، للدكتور عبد الحي الفرماوي.

٤- التفسير التوحيدي: حسن عبدالله، ١٩٩٨م.

٥- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور صلاح الخالدي .

٦- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: أحمد الكومي وزميله، ١٩٨٢م.

٧- التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان: عبد الجليل عبد الرحيم، ١٩٩٢م.

٨- دراسات في التفسير الموضعي للقصص القرآني: أحمد جمال العمري، ١٩٨٦م.

٩- دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، للدكتور عبد المنعم القصاص.

١٠- دراسات في التفسير الموضوعي: زهير عوض زاهر الألمعي.

١١- الدراسة في التفسير الموضوعي: عبد الحي الفرماوي،/ ١٩٨٤م.

١٢- الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي، للدكتور الحسيني ابو فرحة .

١٣- القرآن وقضايا الإنسان: د. عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، ١٩٨٢م.

١٤- قضايا إنسانية في أعمال المفسرين: عفت الشرقاوي، ١٩٨٠م.

١٥- مباحث في التفسير الموضوعي: أ.د. مصطفى مسلم، ١٩٨٩م.

١٦- المدخل إلى التفسير الموضوعي: عبد الستار فتح الله سعيد، ١٩٨٦م.

١٧- المدرسة القرآنية، لمحمد باقر الصدر .

١٨- منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، للدكتور زياد خليل الدغامين١٩٩٥ .

١٩- الوحدة الموضوعية في سورة العنكبوت: أ.د. زياد الدغامين، ١٩٩١م.

- **المطلب الثاني: دواعي ظهور مصطلح التفسير الموضوعي المعاصر**

عرفنا فيما سبق الأسباب في عدم ظهور هذا التفسير الموضوعي بنظريته عند السابقين ؛ ولعلّ ذلك يمهّد الطريق لمعرفة دواعي ظهوره في العصر الحاضر، ومع وجود هذه الدواعي والأسباب لا ننسى أنَّ القرآن قد

(١) المدخل في التفسير الموضوعي: ٧-٨ .

نزل للناس جميعاً منذ مبعثه ﷺ وإلى قيام الساعة، فلابدَّ أنْ يظهر في كل عصر ومع كل جيل مدى شموله وكماله وصلاحيته وتلائمه مع جميع المعطيات والمستجدات .

ونذكر هذه الدواعي والأسباب فيما يلي:

١ . وجود أمور مستجدة جاءت بعد أنْ لم تكن في العصور الماضية فلا بدّ من بيان حكم القرآن في هذه القضايا، وهذا لا يكون إلّا من خلال البحث في القرآن ذاته لاستخلاص الأحكام التي تتعلق بها والمستجدات على اختلاف تنوعها .

٢. بعد الناس عن زمن التنزيل وجهلهم بكثير من قضايا القرآن وأحكامه المتعلقة بشؤونهم الخاصة والعامة، وبالتالي هم في حاجة ماسَّة في مثل هذه الموضوعات القرآنية التي تجمع كل ما يتعلق بالموضوع الواحد من آيات متفرقة في سور القرآن، فيتعرفون مثلا على الأخلاق في القرآن كريم.

٣. حاجة الناس إلى دراسات متخصصة ومتعمقة في الموضوعات القرآنية مع وجود علماء قد تخصصوا في تفسير القرآن وعلومه خاصة[١] .

٤ .وجود شبهات وطعونات ضد الإسلام والمسلمين أثارها أعداء الإسلام من مبشرين ومستشرقين، وانطلقوا في شبهاتهم من خلال دراسات ومعاجم وفهارس وضعوها لتعيينهم وتسهل عليهم إختلاق الشبهات، فكان لابدّ من وجود ردود حاسمة تحمل نفس المنهج الموضوعي لدفع تلك الشبهات وإثبات بطلانها[٢] .

٥. الوضع المتردي المؤلم الذي حلَّ بالمسلمين في هذا الزمان حيث إزدادت الهجمة الشرسة على ديار المسلمين ومقدساتهم وضاعت الخلافة الإسلامية بسبب ما حلَّ بالمسلمين من ضعف وهوان مما جرأ أعداء الله على مزيد من التآمر والكيد للإسلام والمسلمين مستغلين ظاهرة الضعف العام والهزائم التي حلَّت بديارهم ونفوسهم، فاقتضى ذلك التفكير في الخلاص الجاد بالعود إلى دين الله المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه دراسةً واستنارةً واهتداءً[٣] .

٦. إنَّ لكل عصر ولكل جيل متطلبات خاصة به تتناسب مع ظروفه وأحواله وتتناسب مع معطيات العصر والتطور العلمي والتكنولوجي والحضاري لذلك العصر، فلابد أن يرتقي البحث في الدراسات القرآنية بما يلائم معطيات العصر ومتطلباته سواء فيما يتعلق بمواكبة التقدم العلمي، او فيما جدّ في حياة الناس من قضايا، أو فيما جدّ من وسائل البحث والدراسات الإحصائية الجامعية [٤] .

---

(١) ينظر: المدخل الى التفسير الموضوعي، الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد: ص٣٤، بتصرف .
(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٣٥-٣٦ .
(٣) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الدكتور صلاح الخالدي: ٤٧ .
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨ .

٧. اهتمام الجامعات الإسلامية وبالذات أقسام التفسير والدراسات الإسلامية فيها بهذه البحوث القرآنية الموضوعية باعتبارها حاجة العصر وحاجة المستقبل، لذلك وجَّهَ الأساتذة في هذه الجامعات طلابهم لتناول التفسير الموضوعي بالبحث والدراسة لعلهم بذلك يسهمون في خلاص الأمة ونجاتها مما تجد وتعاني[١] .

- **المطلب الثالث: أهداف وأهمية التفسير الموضوعي**

ظهر لنا من خلال الدواعي التي أدت إلى ظهور هذا اللون من التفسير في العصر الحاضر مدى أهمية هذا التفسير المعاصر في كثير من الدواعي السابقة هي في ذاتها أهداف تتحقق من خلاله، مما يظهر أهميته بشكلٍ أكثر وضوحاً وسوف نشير إلى بعض هذه الاهداف التي هي من الدواعي التي سبقت الإشارة إليها لكن بطريقة تخدم هذه الوقفة بالإضافة إلى مجموعة أخرى هي أهداف مستقلة تبين مدى أهمية هذا اللون من التفسير، وذلك فيما يلي:-

١. التفسير الموضوعي هو تفسير العصر والمستقبل حيث يعالج ما يجدُّ في حياة الناس من قضايا وأحداث لم تكن موجودة في الأزمان السابقة ولم يكن حكم الشرع فيها واضحاً فيقوم المفسر من خلال هذا اللون من التفسير باستخراج الحلول القرآنية لهذه الأمور المستجدة .

٢. التفسير الموضوعي يحقق دراسات وأبحاث قرآنية متخصصة في مجالات متنوعة يسهل الإطلاع عليها وتحقيق الهدف والغاية منها .

٣. يعالج التفسير الموضوعي الشبهات والطعونات التي يثيرها أعداء الإسلام بين الحين والآخر، فتغلق أبواب فتنةٍ وشكٍ في دين الله وتفشل مخططات الأعداء ومكرهم وعدائهم للإسلام والمسلمين .

٤. التفسير الموضوعي يؤصل الدراسات والمناهج في كل المجالات والتخصصات في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ [الأنعام الآية ٣٨]، فما من شيء من العلوم والمعارف إلّا وله في القرآن ما يشير إليه بالعبارة أو بالإشارة .

٥. التفسير الموضوعي هو السبيل لبيان حاجة الإنسانية جمعاء إلى هذا الدين ومصدر هدايته وأنَّ القرآن هو الذي يحقق حاجات الإنسان ومتطلباته وقضاياه ويحل مشكلاته الواقعية التي يعيشها ويحياها في كل زمان ومع كل جيل، وهذا مما يزيد من إقبال المسلمين على القرآن ويوثق صلتهم به .

٦. يحقق التفسير الموضوعي المقاصد الأساسية للقرآن ويبرزها بشكل واضح باعتباره كتاب هداية واعجاز .

---

(١) وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، الدكتور عبد السلام حمدان اللوح : ٢٥ .

٧. بالتفسير الموضوعي تظهر لنا حقائق قرآنية وسنن في الكون والحياه والعلوم والمعارف ما كان للإنسان أن يقف عليها بدون هذا اللون من التفسير ولن يستطيع القارئ أن يقف عليها من خلال التفسير التحليلي[١] .

٨. يقوم التفسير الموضوعي بحصر وجمع الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد، فتفسر الآيات بعضها بعضاً، فيكون ذلك تفسيراً القرآن بالقرآن، وهو أبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب، ويظهر ما بين هذه الآيات من انسجامٍ وترابط[٢] .

٩. التفسير الموضوعي الذي يتعلق بالمصطلح القرآني يكشف لنا بوضوح وجلاء مدى استعمال القرآن لهذا المصطلح وما هي المعاني المختلفة التي تحملها هذه الكلمة القرآنية حسب السياق والمناسبة التي وردت فيها .

(١) ينظر: النقاط السابقة في: مباحث في التفسير الموضوعي، الدكتور مصطفى مسلم: ٣٠-٣٣، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الدكتور صلاح الخالدي: ٤٨-٥١، ووقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، الدكتور عبد السلام حمدان اللوح : ٢٥-٢٨ .

(٢) ينظر: البداية في التفسير الموضوعي: ٦٨-٧١ .

المبحث الثالث

ألوان التفسير الموضوعي تطورها ومناهج بحثها

مما لا شك فيه أنَّ التفسير الموضوعي بألوانه ومناهج بحثها قد تعرض لمراحل تدرَّجَ فيها من ضعف إلى قوة، حاله في ذلك حال الطفل بعد ولادته، يحتاج إلى فترة حتى يحبو، ثم يحتاج فترة حتى يمشي على قدميه ببطء وتؤدة، ثم يحتاج فترة حتى يجري بقوة وشدة وقد استوى على سوقه.

وقبل الحديث عن مراحل التطور وتدرجه يُحسن بنا أنْ نلقي الضوء بإيجاز على ألوان التفسير الموضوعي كما هي عليه الآن، ثم يعود بعد ذلك إلى نموّها وتطورها، ونبدأ بها تسلسلها التاريخي وذلك في ما يلي:-

- **اللون الأول: الموضوع القرآني:**

وهو قضية يلحظها الباحث من خلال تعرض الآيات القرآنية لها بأساليب متعددة فيقوم بجمع هذه الآيات التي اشتركت في هذا الموضوع، ويرتبها حسب النزول، ويقف على أسباب نزولها، ثم يتناولها بالشرح والبيان والتعليق ويستنبط عناصر الموضوع من خلال الآيات نفسها[١] .

- **اللون الثاني: السورة القرآنية:**

وذلك بتناول سورة قرآنية مستقلة عن غيرها من السور فيجعل منها وحدة موضوعية متكاملة مهما تعددت القضايا المطروحة فيها، وذلك بالبحث عن الهدف الاساسي في السورة الواحدة بما يمثل محورها الرئيسي ثم يربط بين قضايا السورة ومقاطعها من جهة ثم بينها وبين محور السورة من جهة أخرى بما يثبت صحة محورها وتناسبه مع قضايا السورة، ويُعدُّ علم المناسبات هو الأسلوب البارز والأداة الفاعلة للربط والسبك لتظهر بذلك وحدة السورة الموضوعية المتناسقة رغم كثرة قضاياها وموضوعاتها الفرعية والجزئية، كل ذلك بعيدا عن طبيعة التفسير التحليلي[٢] .

- **اللون الثالث: (المصطلح القرآني) او (اللفظة القرآنية):**

وهذا اللون من التفسير الموضوعي يختص بالمصطلحات والمفردات القرآنية، حيث يختار الباحث لفظة

---

(١) ينظر: البداية في التفسير الموضوعي، الدكتور عبد الحي الفرماوي: ٥٢، ومباحث في التفسير الموضوعي، الدكتور مصطفى مسلم: ٢٣ .

(٢) ينظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الدكتور عبد المنعم القصاص: ٣٠، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الدكتور صلاح الخالدي: ٥٦ .

وردت كثيرا في السياق القرآني، فيتتبعها الباحث من خلال الآيات والسور جامعاً لكل اشتقاقاتها وتصاريفها المختلفة، ثم يحيط بتفسيرها مستنبطاً الدلالات واللطائف والحقائق من خلال إستعمال القرآن الكريم لها.

وتعدُّ كتب غريب القرآن[١] وكتب الأشباه والنظائر[٢] والمعاجم اللغوية[٣] والمعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن[٤] هي منطلق هذه الدراسة والعمدة في إحصاء إستقراء الإشتقاقات والتصريفات للمصطلح القرآني المراد تفسيره تفسيراً موضوعياً[٥] .

- **اللون الرابع: القرآن في جملته:**

وهذا اللون حديث النشأة والولادة، ولعلَّ له مستقبلا زاهرا يضاهى الألوان الثلاثة السابقة، وذلك أنَّ القرآن في ترابط سوره وآياته وتناسبها وأحكامها يظهر في جملته وحدة موضوعية واحدة يغطي قضايا وموضوعات موجودة في كل سورة بل في كل آية من آياته، فعلى سبيل المثال موضوع الهداية، فالقرآن كله هداية لا تستثني من ذلك سورة ولا آية تخرج عن هذا المقصد العام، وكذلك الإعجاز فليس هناك سورة إلّا ويتحقق فيها هذا المقصد أيضا، وهكذا المقاصد العامة للقران تأخذ من جملته باعتباره كل لا يتجزأ .

وبعد هذا العرض السريع لألوان التفسير الموضوعي نعود لنتابع ذلك التدرج والتسلسل والتطور لهذه الألوان ومناهج بحثها لنرى كيف بدأت وكيف نمت وتطورت.

فقبل أن توضع نظرية هذا العلم كان التطبيق العفوي الذي يصيب أحيانا ويبتعد أحياناً أخرى، فليس له ضابط يضبطه، ثم بدأت الكتابة فيه بدءاً بما كتبه الدكتور أحمد السيد الكومي، حيث أشار إلى ذلك الدكتور الفرماوي في كتابه بقوله: (أما عن منهج محدد واضح المعالم مفصل النقاط للدراسة في هذا المنهج من التفسير، فيلم يتضح ذلك إلّا في القريب على يد أستاذنا الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي)[٦]، ثم قال الفرماوي: (ويمكن لنا تحديد المنهج على النحو التالي...(وذكر سبع نقاط حول هذه

---

(١) مثل كتاب: (المفردات في غريب القرآن) للراغب الاصفهاني .

(٢) مثل كتاب: إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، للخطيب الدامغاني، وكتاب: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي، وكتاب: كشف السرائر في معنى الوجوه والاشباه والنظائر لابن العماد .

(٣) مثل كتاب: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، وكتاب: معجم لسان العرب لابن منظور، وكتاب: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، وكتاب: الكليات – معجم في المصطلحات والفروقات اللغوية لأبي البقاء .

(٤) مثل كتاب: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، وكتاب: معجم الفاظ القرآن الكريم، أعدَّته لجنة من كبار العلماء في القاهرة، وكتاب: معجم الأدوات والضمائر في القرآن لإسماعيل عمايرة وفؤاد السيد، وهو مكمل ومتمم لمعجم عبد الباقي .

(٥) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، الدكتور مصطفى مسلم: ٢٣، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الدكتور صلاح الخالدي : ٥٢ .

(٦) البداية في التفسير الموضوعي : ٦١ .

المنهجية، وكلها تدور حول لون واحد وهو التفسير الموضوعي لموضوع قرآني ذكرها بإيجاز في قرابة صفحة واحدة، ثم أراد أنْ يؤكد على هذا المنهج بقوله: (هذا هو المنهج، وهو منهج جديد لكلية أصول الدين تسير عليه الان بإشراف أساتذة بها أفاضل، وقد أخرجت بالفعل كثيرا من الأبحاث التي تنضوي تحت لواء التفسير الموضوعي)[١] مع ملاحظة أنَّ الفرماوى قد أشار إلى نوعين للتفسير الموضوعي وهما: التفسير الموضوعي للسورة، والتفسير الموضوعي لموضوع قرآني[٢] إلّا أنَّه لم يضع منهجية للسورة القرآنية .

ثم جاء الدكتور عبد الستار سعيد فجعل المبحث السادس في كتابه بعنوان: **(منهج البحث في التفسير الموضوعي)**، وذكر ثماني خطوات إجمالا ثم عاد اليها بالتفصيل لبيان المراد بكل خطوة من الخطوات التي أجملها، فأخذت مساحة من كتابه قرابة عشر صفحات[٣] وفي ذلك مزيد من الوضوح إلّا أنَّ هذه المنهجية مازالت محصورة أيضا في الموضوع القرآني ولم تتجاوزه إلى الألوان الأخرى للتفسير الموضوعي، بل ينفي الدكتور عبد الستار صراحة الالوان الاخرى، وذلك عند تفصيله للخطوة الأولى التي تنص على المعرفة الدقيقة لمعنى (التفسير الموضوعي الخاص) الذي يريد المفسر مزاولته، حيث يقول: (... وكذلك يتجنب المفسّر الكتابة تحت هذا العنوان فيما يسمى بـ(النظام في القرآن) أو (الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم) أو (التفسير الموضوعي بمعناه العام كالنسخ في القرآن ونحوه) أو (علم المناسبات) لأنَّ هذه الجوانب مع جلالتها وأهميتها لكنّها خارجة عن (مصطلح التفسير الموضوعي) بمعناه الجديد، المقيد بمعناه الخاص على ما بينّاه سابقا[٤] .

وقد نفى لك أيضا في مكان آخر من كتابه حيث يقول: (وإلى أنْ يقوم لهذا الضرب -يقصد السور القرآنية- خطة علمية محكمة القواعد واضحة المعالم فإنّنا نعده في باب الدراسات القرآنية العامة وليس في التفسير الموضوعي)[٥] .

وقد كتب الدكتور محمد عبد الله درّاز حول الوحدة الموضوعية للسور القرآنية تحت عنوان (الكثرة والواحدة)؛ أي كثرة في قضايا السورة ووحدة في موضوعها ومحورها، وقد كان ذلك بمثابة وضع حجر الاساس للتفسير الموضوعي في السورة القرآنية، وقد مثّل بسورة البقرة[٦] كما اشار لذلك الشيخ محمد

(١) المصدر نفسه: ٦١-٦٣ .
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠-٥٢ .
(٣) ينظر: هذه الخطوات إجمالا وتفصيلاً بكتابه (المدخل الى التفسير الموضوعي): ٥٦-٦٦ .
(٤) ينظر: المدخل في التفسير الموضوعي: ٥٧-٥٨ .
(٥) المصدر نفسه: ٢٥ .
(٦) ينظر: النبأ العظيم : نظرات جديدة في القرآن، الدكتور محمد عبد الله دراز، ط٢، منشورات دار القلم، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م: ١٦٣-٢١١ .

الغزالي سابقا .

إن دلَّ ذلك فإنّما يدل على أنَّ وحدة السورة الموضوعية هي لون أساسي ورئيسي من ألوان التفسير الموضوعي باعتباره يؤكد على وحدة الموضوع للسورة.

ولذلك لما وضع الدكتور مصطفى مسلم كتابه (مباحث في التفسير الموضوعي) جعل وحدة الموضوع في السورة مبحثاً له منهجيته التي وضعها ولعلّه أول من وضع هذه المنهجية للبحث في موضوع السورة .

ومع كون الدكتور قد أشار إلى ثلاثة ألوان للتفسير الموضوعي وهي: (تفسير موضوعي للفظة قرآنية، وموضوع قرآني، وسورة قرآنية) وشرح حول كل لون بما يوضح المراد بهذا اللون[١] فقد أحدث لونين من الوان التفسير الموضوعي، وبهذا فقد تقدم خطوتين عمن سبقه، ووضع منهجية للموضوع القرآني وللسورة القرآنية إلا أنّه لم يضع منهجية حول اللفظة القرآنية، وسيأتي من يضع تلك المنهجية الثالثة كما سيظهر فيما بعد .

تحدث الدكتور مسلم حول منهجية البحث في موضوع من خلال القرآن الكريم وجعل لها ثماني خطوات، بالإضافة إلى ثلاث ملحوظات تابعة لهذه الخطوات وهو كلام متناسب ليس بالطويل الممل ولا بالمختصر المخل[٢]، ثم تحدث أيضا عن منهج البحث في التفسير الموضوعي لسورة قرآنية ووضع لها أربع خطوات أساسية موجزة وعاد إلى بعضها بالتفصيل، وذلك فيما يتعلق بتحديد محور السورة، وكيف يمكن التعرف عليه من خلال عدة أمور، ثم تحدث عن الهدف في السورة القصيرة والسورة الطويلة، وكذلك الإطناب والإيجاز في قضايا عرضتها السورة[٣] .

أما الدكتور صلاح الخالدي فقد ذكر في كتابه الألوان الثلاثة للتفسير الموضوعي : وهي المصطلح القرآني، والموضوع القرآني، والسور القرآنية، ووضع وصفاً لكل لون من هذه الألوان بما يوضحها ويحدد معالمها[٤] .

تم وضع المبحث التاسع حول (الخطوات المرحلية للسير في التفسير الموضوعي) وأفرد خطوات عامة للألوان الثلاثة، وهي خمس خطوات، ثم أفرد لكل لون خطوات خاصة به .

وبدأ بالخطوات المرحلية للسير مع المصطلح القرآني وجعلها في مرحلتين مرحلة البحث والجمع، ومرحلة الترتيب والتبويب والصياغة، ولكل مرحلة خطواتها الفرعية المتدرجة، ولعلّها لا توجد عند غيره

(١) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ٢٣-٢٩ .
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧-٣٩ .
(٣) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي: ٤٠-٥١ .
(٤) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: ٥٢-٥٩ .

ولم يُسبق إليها ممن كتبوا في منهجية التفسير الموضوعي. وإن كان عرضه مطولا حيث أعتبر المنهجية في مرحلتين وكل محلة لها خطواتها وقد جعل للمرحلة الأولى عشر خطوات بفروعها، وللمرحلة الثانية ثماني خطوات[١] .

ليس ذلك التطويل مع المصطلح القرآني فحسب ؛ ولكنه يوجد أيضا في منهجية البحث في الموضوع القرآني حيث ذكر الخطوات التي ذكرها الدكتور السعيد وكذلك الخطوات التي ذكرها الدكتور مسلم ثم يذكر عشر خطوات يراها الدكتور الخالدي نفسه، وهكذا يتوسع في المنهجية سواء مع المصطلح القرآني أو الموضوع القرآني أو السورة القرآنية[٢] مما يشبع منهجية الألوان الثلاثة بحثاً ولعلّها بذلك قد تمت واكتملت واستوت على سوقها .

وأضاف الدكتور عبدالسلام حمدان لوناً رابعاً للتفسير الموضوعي وهو (القرآن في جملته)[٣] .

وبهذا ندرك كيف تطورت ونمت ألوان التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيها من حال الى حال، ومن ضعف الى قوة، ومن قلة إلى كثرة، ومن ضيق إلى سعة، مما جعل نظرية التفسير الموضوعي أقرب إلى النضج والكمال، إنها سنة الله في الأشياء تبدأ ضعيفة صغيرة ثم تقوى وتكبر وتؤتي ثمارا طيبة بإذن ربها، وينعم الناس بخيرها الكثير وظلِّها الوفير[٤] .

(١) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق : ٦٢-٦٨ .
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٨-٧٥ .
(٣) ينظر: وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي: ٢٨ .
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤ .

الخاتمة

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وآجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرةز

وبعد؛ فقد أتم الله علينا النعمة بإتمام البحث إلى أنْ بلغنا الخاتمة، ويمكن أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها في النقاط التالية:

١- للتفسير الموضوعي بذوراً ولبنات بدأت منذ عهد النبوة ثم عهد الصحابة y ومن تبعهم، ولكن هذه اللبنات كانت تمهيدية لم تكن تأخذ سورة التفسير الموضوعي من حيث التقعيد والتأصيل، واستمرت هذه الجهود جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر، وكلما توالت العصور كانت الحاجة الى بروز هذا اللون أكثر.

٢- وُجِدَت دراسات سابقة حول قضايا وأحكام قرآنية، وكانت طريقتهم في هذه الدراسات أقرب ما يكون من التفسير الموضوعي وإن لم يقصدوا به هذا المصطلح، فهم بذلك قد ساروا بالدرب حتى أوشكوا على نهايته ولكن بدون تأصيل ولا تقعيد، فمن حيث التطبيق إذن فالسابقون هم السابقون، ومن حيث المصطلح والتأصيل فالمعاصرون هم المؤصلون.

٣- ظهرت أهداف وأهمية التفسير الموضوعي باعتباره يعالج ما جدّ وما يجدّ من قضايا وأحداث تعرض للناس، ولم تكن موجودة من قبل، مع كونه يمثل خط الدفاع الأول للشبهات والطعونات التي يثيرها أعداء الاسلام، مع بروز ألوان من الاعجاز القرآني من خلال وحدة الموضوع وتكامله ووحدة السورة وترابطها، إلى غيرها من أهداف وغايات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

المصادر المراجع

• **القرآن الكريم .**

١. الاتقان في علوم القرآن، الامام جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .

٢. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الله محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٣. اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكرين، الحسين بن محمد الدامغاني، حققه ورتبه: عبد العزيز سيد الاهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م .

٤. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م .

٥. البحر المحيط-لأبي حيان الاندلسي- دراسة وتحقيق مجموعة من العلماء، منشورات دار الكتاب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٦. البداية في التفسير الموضوعي(دراسة منهجية موضوعية)، الدكتور عبد الحي الفرماوي، مطبعة الحضارة العربية، ط٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٧. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م .

٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م .

٩. تفسير القرآن العظيم، الامام ابن كثير الدمشقي، كتب هوامشه وضبطه حسين بن ابراهيم زهران، دار الكتب العلمية، بيروت .

١٠. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الاردن، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١١. حقوق الانسان بين القرآن والسنة، الدكتور عبد الكريم حمدي الدهشان، أطروحة دكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية، السودان، ١٩٩٥م غير منشورة .

١٢. دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الدكتور عبد المنعم علي ابراهيم القصاص، مطعبة الحسين الاسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

١٣. صحيح البخاري -للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري- منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٤. صحيح مسلم -للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٥. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم)، للشيخ احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تح: د. محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م .

١٦. كشف السرائر في معنى الوجوه والاشباه والنظائر، ابن العماد، تح: فؤاد عبد المنعم احمد، منشورات مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

١٧. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء الكفوي، تح: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

١٨. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي (ت ٧١١ هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

١٩. مباحث في التفسير الموضوعي، الدكتور مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

٢٠. المدخل الى التفسير الموضوعي، الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، دار النشر والتوزيع الاسلامية، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة منهل العرفان، بيروت .

٢٢. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين احمد بن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٢٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم بن الحسن بن نحمد المعروف بالراغب الاصفهاني، تح: سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان .

٢٤. منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الدكتور زياد خليل الدغامين، دار البشير، الاردن، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٢٥. النبأ العظيم، الدكتور محمد عبد الله دراز، منشورات دار القلم، ط٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٢٦. نحو التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى) الشيخ محمد الغزالي، دار

الشروق، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٢٧. وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، الدكتور عبد السلام حمدان اللوح، كلية أصول الدين - الجامعة الاسلامية - غزة .